القاعدة الخامسة

الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين :

ذاتية (1) وفعلية (2) :

•0 **فالذاتية : هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين (3)**

والفعلية(4) : هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لـم

---

(1) الذاتية مكونة من ذات وياء النسبة وهائها 0

(2) الفعلية مكونة من فعل وياء النسبة وهائها و الفعلي ما نسب إلى الفعل 0

(3) ذكر المؤلف ضابط الصفات الذاتية وتسمى أيضاً بالصفات اللازمة لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها.

وتنقسم الصفات الذاتية إلى قسمين :

I- صفات ذاتية خبرية هي التي تثبت عن طريق الخبر ولو لم يرد النص بها لم يستطع العقل وحده معرفتها لكنه مع ذلك لا ينفيها 0

وضابطها أنها التي مسماها لنا أبعاض وأجزاء ويجب الحذر من القول أنها أبعاض لله أو أجزاء له

وللدكتور جابر السميري كتاب بعنوان الصفات الخبرية وهي رسالة ماجستير 0

II- صفات ذاتية معنوية وهي ما كان دالاً على معنى أو التي ليست مسماها لنا أبعاض وأجزاء وتسمى بالصفات العقلية لأن

العقل دل عليها فلو لم يأت النص لاهتدى العقل إليها 0وقيل ان العقل لا يستقل بذلك بل يدل عليه بخلاف الأول فانها خبرية محضة ولا مجال للعقل فيها .

انظر معالم التوحيد للقيسي ، والصفات الالهية للشيخ محمد بن أمان الجامي رحمه الله ص 207.

والأمثلة التي ذكرها المؤلف جمع فيها بين الصفات الخبرية والعقلية 0

(4) وتسمى بالصفات الطارئة والصفات الاختيارية وتسمى بالأفعال الاختيارية أيضاً

يقول الشيخ ابن عثيمين في شرح بلوغ المرام ص 115 من المخطوط : =

يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا .

┐ "وأفعال الله هل هي قديمة أو حادثة ؟

جـ: نقول في هذا تفصيل أما من حيث الجنس وأصل الصفة فهي قديمة غير حادثة لأن الله لم يزل ولا يزال فعالاً 0

وأما من حيث النوع أو الواحد فهي حادثة ، مثال النوع الاستواء على العرش حادث لأنه كان بعد خلق العرش ، النزول إلى السماء الدنيا حادث لأنه بعد خلق السماء الدنيا

الآحاد نزول الله كل ليلة إلى السماء الدنيا هذا آحاد كل ليلة يكون له نزول كذلك كل أفعال الله التي لا تحصى وهو دائماً عزوجل يخلق ويرزق ويحيي ويميت كل أفعاله هذه حادثة الآحاد بالنسبة لتعلقها بالمخلوق المفعول 0

┘ "هل فيه من ينكر قيام الأفعال الاختيارية بالله ؟

ج: نعم فيه من يقولون إن الله لا يفعل فعلاً حادثاً لماذا ؟ قالوا لأن الفعل الحادث لا يقوم إلابحادث فلو جوزنا أن يفعل الله

أفعالاً حادثة لكان لازم ذلك أن يكون الله حادثاً بعد أن لم يكن ولكن هذا قياس فاسد لمخالفته النص وقياس باطل من أصله لأن هذا التلازم الذي ذكروه ليس بصحيح 0

أما الأول فلأننا لو أخذنا بهذا القياس لزم أن ننكر كل فعل من أفعال الله ومن العجائب أنهم لا ينكرون حدوث المفعول ثم ينكرون حدوث الفعل لا ينكرون أن زيداً وعمراً حادث بعد أن لم يكن ولكن تعلق الخلق به كان في الأزل وهذا في الحقيقة عندما تتامله لا يصح إطلاقاً هل يمكن أن يقع فعل ولا يوجد المفعول يعني خلق زيد وعمرو ومتى كان ؟ في الأزل الذي لا نهاية له وكيف يخلق من الأزل البعيد ثم لا يوجد في المخلوق إلا في هذا الزمن مثلاً هذا واضح بأنه باطل جداً

فالقول بأن الفعل قديم والمفعول حادث ثم الفعل أيضاً ليس فعلاً في نفس الله بل يفسرونه بالمفعول هذا كله شيء باطل 0

فمذهب أهل السنة والجماعة الذي دل عليه السمع والعقل أن الله فاعل بإرادته يفعل ما يشاء ويختار وأن فعله يكون حادثاً لتعلقه بالمفعول لكن أصل الفعل وأن الله لم يزل ولا يزال فعالاً ولم يأت عليه وقت من الأوقات معطلاً عن الفعل هذا قديم أزلي ا 0هـ

وقد وعدنا فيما سبق أن نبين مراد الطحاوي من قوله (ولا يحدث له وصف متجدد) ولتوضيح ذلك يقول البريكان في شرحه لمنظومة الخطابي في العقيدة ص 49 =

= ومن لوازم قدم ذات الباري جل جلاله كون صفاته ملازمة له أولاً وأبداً أسوة بذاته فإذا كانت ذاته دائمة أزلاً وأبداً موجودة أزلاً وأبداً فكذلك الشأن في صفاته سبحانه فلم تستجد له صفة

بعد أن لم يكن متصفاً بها سواء كانت هذه الصفات صفات ذاته أو صفات فعله

وعليه فالصفات الفعلية من هذه الجهة تكون راجعة لصفات الذات دائمة بدوامها إذ هي متعلقة بالمشيئة والإرادة وهو دائم الاتصاف بها فكذلك ما بني عليها من صفات فعله ولا يكدر على ذلك كون الصفات الفعلية حادثة الآحاد لأن متعلق الدوام هو الجنس ، ومتعلق الحدوث الأفراد ومعنى الحدوث كون كل فرد منها له ابتداء وانتهاء وإن كان جنس الصفة ليس له ابتداء وانتهاء وبذا يرتفع الإشكال ويبين الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل ا 0هـ

وتنقسم الصفات الفعلية إلى :

1- صفات فعل خبرية : وهي الصفات التي ثبتت بالدليل النقلي المحض (الكتاب والسنة) والتي لا يمكن الاهتداء إليها ومعرفتها بالعقل لولا ورود النص بها ولو لم يرد بها النص لما استطاع العقل أن يعرف عنها شيئاً لكنه مع ذلك لا ينفيها كالاستواء والنزول والمجيء والعجب والفرح 0

2- صفات فعل عقلية : وهي الصفات التي يمكن للعقل إدراكها وورد النص بها ولو لم يأت النص بها لادركها العقل كالخلق والإحياء والإماتة والرزق 0

ومن ناحية أخرى فإن أفعال الله تعالى تنقسم إلى قسمين :

1- ما كان منها متعلقاً بالذات الإلهية ، فهو أفعال لازمة كالتكلم والنزول والاستواء إلى السماء والاستواء على العرش ومجيء الله تعالى يوم القيامة

2- ما كان منها متعدياً إلى غيره كالخلق والرزق والاحياء و الإماتة وأنواع التدبير الأخرى 0

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله (1) صفة ذاتية لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام يتعلق بمشيئته يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى : { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } [يس : 82]

وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته وقد تكون الحكمة معلومة لنا وقد نعجز عن إدراكها لكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق للحكمة كما يشير إليه قوله تعالى :

---

(1) عرفنا أن المؤلف قد قسم صفة الفعل إلى :

جنس	نوع	آحاد أو أفراد
وهو يشمل أنواعاً مثل		تكون حادثة أيضاً
فجنس الفعل أزلي		نزول الله كل ليلة
والإرادة والخلق		وآحاد الكلام

منه ما هو قديم منه ما هو حادث

كالكلام والإرادة والخلق كالاستواء والنزول والمجيء

فتكون هذه راجعة إلى صفات فهذه أنواع حادثة الذات دائمة بدوامها انظر شرح الواسطية للمؤلف (1/87)

ملاحظة :

ينبغي التنبيه إلى أن الشيخ عبدالعزيز السلمان في الكواشف الجلية ص 430 قد ذكر أن الاستواء والنزول والضحك والمجيء والفرح يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد فكيف نوفق بين هذا القول وبين قول الشيخ ابن عثيمين ؟

ليس مراد الشيخ السلمان أن هذه الأفعال قديمة وإنما مراده أن جنس الفعل قديم وهذه حادثة فهو قد جعل النوع جنساً وتقسيم الشيخ ابن عثيمين أفضل إلا أنهما متفقان على أن هذه الأفعال حادثة

{وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً} (1) [الإنسان : 30]

---

(1) في كلام المؤلف رد على نفاة الحكمة لله كالأشاعرة والفلاسفة 0

وقول المؤلف (كل صفة تعلقت بمشيئته) فيه رد على المعتزلة الذين أثبتوا الحكمة لكنهم قالوا ليست صفة لله وإنما هي مخلوقة والمقصود إحسانه إلى الخلق 0

ولشيخ الإسلام بحث استوعب هذه المسألة في جامع الرسائل والمسائل بعنوان (أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) (2/283)
وللدكتور محمد المدخلي رسالة ما جستير في الحكمة والتعليل في أفعال الله فانظر ص 51 وص 62 من الكتاب 0
وللدكتور محمد مصطفى شلبي رسالة بعنوان : تعليل الأحكام . تكلم عن هذه المسألة ص 97 0